النحو العربي في ضوء النظرية التوليدية التحويلية

* حمادي فاطمة
Hananehammadi27@gmail.com
أ/د. أحمد بن عجمية
جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2020/03/05 تاريخ القبول:2020/08/02 تاريخ النشر: 2020/09/14

الملخص:

أسهمت النظرية التوليدية التحويلية إسهاما واسعا في الأبحاث اللسانية المعاصرة ،بإرساء نظرية جديدة للُّغة والنحو وفهْم متطلبات اللسانيات مع رفض بعض المفاهيم السابقة واستبدالها بمصطلحات أخرى ،كما أنها تتوافق مع النحو العربي في جوانب كالتحليل اللساني والتعويل على الحدس اللغوي، وقواعد إعادة الكتابة وغيرها، غير أنه لا يمكن تطبيقها كاملة في الدرس النحوي بكل ما يحتويه من معطيات أو معلومات نحوية ،ولا يمكن اتخاذها كمنهج واضح تدرس على أساسه الأبواب النحوية التقليدية لما تتميز به اللغة العربية عن غيرها من اللغات، وقد كان هذا العمل وبفضل رواده من علماء وباحثين عربا وعجما كافيا لإحياء جوانب عديدة في اللغة العربية عامة والنحو العربي خاصة .

الكلمات المفتاحية : التوليد والتحويل ـ الكفاءة اللغوية ـ الأداء الكلامي ـ البنية العميقة والبنية السطحية ـ النحو التوليدي التحويلي .

Summary :

The theory of generative transformative grammar has contributed to ther progress of studies in modern linguistics. It seeks to raise a new theory to language rules with the opposition to some previous claims , and their substitution with new terms .Moreover ,it conforms with the Arabic Grammar rules in some aspects ,such as linguistic Analyis and some language reconstruction.Yet,the rules can not be fully applied in grammar classes regardless their grammatical input. Further, it can not be taken as a clear approach for taling the traditional grammatical aspects of the Arabic language and its diversified phonetic features. So,this wok has raised differrent issues of the Arabic langage by the contribution of a huge number of Arab and foeign scholar.

Key words: generation and transformation -language proficiency performonce-deep structure - surface structure, Transformational Generative Grammar.

مقدمة:

حلَّ عصر النهضة وشهد الفكر العربي انفتاحا على الثقافات الأخرى، بظهور نظريات وأفكار جديدة في مختلف الدراسات اللغوية، حيث ركزت بعض الدارسين على تيسير النحو، وحدد آخرون مجال دراستهم بالعودة إلى التراث اللغوي نقدا وتمحيصا، وفي خضم هذه التطورات بدأت تتشكل ملامح لسانية عربية حديثة مع بداية الخمسينات وتحديدا سنة 1957 بظهور الاتجاه التوليدي على يد العالم الأمريكي " نعوم نشومسكي"Noam Chomesky ،واعتبر هذا الاتجاه حركة جذرية جاءت لتصحيح مسار الدراسة اللغوية ككل ،فلقد مثلت النظرية التوليدية التحويلية إطارا منهجيا للعديد من الدارسين العرب ،في محاولتهم إسقاط

* المؤلف المرسل

مفاهيم النظرية على اللغة العربية طلبا للجديد وعملا بمبدأ العالمية ،ومن هنا طُرِحت تساؤلات عديدة عن الاسقاطات النظرية والتطبيقية للنظرية التوليدية التحويلية في اللغة العربية والنحو العربي خاصة ،فما هي هذه النظرية؟ وكيف نشأت التوليدية العربية ؟ وما الانتقادات الموجهة لها؟...

1. اهتمامات اللغويين المحدثين :

انصب اهتمام اللسانيات العربية في المجال الصوتي نظرا لتأثرهم بالبنيوية الوصفية، وهذا أعان اللسانيين العرب على إعادة وصف أصوات العربية، كما أن الاهتمام بمظاهر البحث اللغوي الحديث وأنظمته يتبلور من وراءها هدف آخر هو التبسيط والتسهيل ،ومن الأعمال البحثية العربية نجد "عبد القادر الفاسي الفهري" ،في دراسته النحوية والبلاغية قائلا: "حاولنا من هذه المجموعة من الدراسات أن نشارف هدفين اثنين:اعتناء لسانيات اللغة العربية بتقديم أوصاف وظيفية لظواهر نعدها مركزية بالنسبة لدلاليات وتركيبات وتداوليات هذه اللغة،وتطعيم النحو الوظيفي كلما مست الحاجة إلى ذلك بمفاهيم يقتضيها الوصف الكافي لهذه الظاهرة أو تلك"[1]

2. . نظرية النحو التوليدي التحويلي :

نشأت بفضل اللساني الأمريكي"أفرام ناوم تشومسكي""Avram Noam Chomesky" بنقده لمدرسة "ليونارد بلومفيلد" " Leonard Bloomfield" نقدا قويا،"وقد أسس نظريته على أنقاض المدرسة التوزيعية بثورته عليه نجم فيها نموذج جديد للتفكير في اللغة وأفرز مجموعة من الإشكالات التي يجب أن يعتني بها اللغوي، وضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي "[2]،ويتمثل هدف هذه النظرية في الوصول إلى ما يسمى باستفاء التفسير، ولم يكن الهدف من هذا الاستفاء أن توصف الظواهر باللجوء إلى نظام من الضوابط فحسب،بل أن يشرح لماذا هي على ما هي عليه،وقد أثارت جدلا ومناقشات خصبة بين دعاتها ومنافسيها، وتطورت سريعا وحلت محل التوزيعية وبلغت مرحلة النضج في سنة 1955 .

يرفض "تشومسكي" تحويل اللغة إلى مجرد تراكيب شكلية مجردة من المعنى و العقل، كما يرفض معاملة الإنسان باعتباره آلة تتحرك حسب قوانين تحدده مواقف معينة "فالإنسان لا يختلف عن الحيوان بقدرته على التفكير والذكاء فحسب ولكنه يفترق عنه بقدرته على اللغة"[3].

4. . المفاهيم الأساسية للنظرية :

أ . الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي:

" يرى "تشومسكي" أن القدرة الإنسانية هي خاصية إنسانية ذاتية تميزه عن الحيوان، ولكن قد يحاول الحيوان إصدار بعض الأصوات أو الصرخات لكنها لا تتخطى كونها في أفضل الأحوال نتيجة طارئة لسلوكه"[4]، وهذه الكفاءة تأتي نتيجة تعلم أساليب اللغة عن طريق الاستعدادات الفطرية الموجودة لديه،أما الأداء الكلامي "فهوالسلوك النطقي الحالي للإنسان الذي يتوقف على وجود القواعد العميقة للغة (الكفاءة اللغوية)، وبدون هذه القواعد لا يوجد الأداء الكلامي وإن كانت هذه القواعد لا تدرك في الأداء الكلامي؛ لأن

هذا الأخير توجهه ظروف وعوامل غير لغوية كمعارف الذاكرة وطاقاتها المعينة وغيرها"[5] ، فهو التطبيق الآني لقواعد اللغة في أثناء عملية التكلم.

ب . النحو التوليدي:

النحو التوليدي هو"نظام من القواعد التي تقدم وصفا تركيبيا للجمل بطريقة واضحة، وكل متكلم تكلم لغة يكون قد استعملها واستبطن نحوا توليديا، وهذا لا يعني أنه على وعي بالقواعد الباطنية التي يكون قد استعملها أو سيكون على وعي بها ،إن النحو التوليدي يهتم بما يعرفه المتكلم فعلا وليس ما يمكنه أن يرويه من معرفته"[6].

ج . النحو التحويلي:

التحويل آلية من الآليات التي تهتم بنقل البنى العميقة إلى متوسطة وسطحية ،والسر في تفضيل "تشومسكي" النحو التحويلي على غيره "أن القواعد التحويلية تعكس حدس أصحاب اللغة أفضل من غيرها من القواعد ،وتولد عددا لا حصر له من الجمل ،وتولي اهتماما كبيرا بالمعنى أكثر مما توليه قواعد نحو بنية العبارات وتزيل اللبس الذي وقعت فيه القواعد السابقة "[7] ،"وتنقسم قواعد النحو التحويلي إلى قواعد اختيارية وأخرى إجبارية والتي تعرف في التراث العربي بالجواز والوجوب، وبذلك يتحقق شيئين بحسب "مازن الوعر" :الأول أننا لم ننقطع عن التراث بل حاولنا استثماره والثاني أننا ننقل المفاهيم اللسانية الغربية على نحو واضح وسليم و مفهوم "[8] ،وبالتالي تتحقق مواكبة الدراسات اللسانية العربية للدراسات اللسانية الغربية الحديثة.

5. بنية القواعد التوليدية التحويلية:

القواعد التوليدية التحويلية هي التي ينجم عند اتباعها كل الجمل الأصولية العائدة للغة كما تحدد الجمل المحتملة في اللغة وتمنع في الوقت نفسه الجمل غير الأصولية من أن تتكون مثال:"سافر القطار في المهاجر" ،فلا يمكن اعتبار هذه الجملة مفيدة، فعلى الرغم من أنها تخضع للترتيب الأصولي للمؤلفات الكلامية إلا أنها غير مقبولة من حيث المعنى والأصح أن تكون،"سافر المهاجر في القطار" ،"فتعتبر القاعدة التوليدية جزءا من جهاز توليد الجمل "[9] ،وتتخذ قاعدة إعادة الكتابة أي أنها تعني كتابة رمز يشير إلى عنصر معين من عناصر الكلام، ويتم استبدال كل رمز بالعناصر الواقعة في اليسار إلى أن يتم اشتقاق الجمل.

أما مفهوم "التحويل" فهو تحويل جملة إلى أخرى أو تركيب إلى آخر بواسطة القواعد التحويلية المدرجة في البينة العميقة بالحذف والإضافة ،وإحدى وظائفها الأساسية تحويل البنية العميقة المجردة إلى البنية السطحية الملموسة التي تجسد بناء الجملة وصيغتها النهائية .

6. مكونات القواعد التولدية التحويلية: " تتألف القواعد التوليدية التحويلية من ثلاثة أقسام:

أ. المكون الفونولوجي:

يقوم بدراسة أصوات اللغة بتخصيص كل تركيب بنطق خاص انطلاقا من لفظ كل مورفيم على حدة ومن خلال تآلف هذه المورفيمات، ويتكون من القواعد الفونولوجية والمعجم.

ب . المكون الدلالي:

"يتناول المكون الدلالي القضايا المتعلقة بالدلالة أو بالمعنى، فيدرس دلالات العناصر اللغوية، فيستلزم وضع آلية مكونة من مجموعة قواعد متناهية بمقدورها تحليل الجمل و إعطاء التفسير الواضح الذي يشرح كيف يستطيع متكلم اللغة أن يفهم جمل لغته"[10].

و يحتوي على المعجم أو اللائحة بمفردات اللغة وعلى القواعد الإسقاطية *[11] التي تشكل قدرة المتكلم على استدلال معنى الجمل من خلال معنى المفردات .

ج- المكون التركيبي:

"والمكون التركيبي هو المكون التوليدي الوحيد ،والمكونان الآخران تفسيريان"[12].

ويتألف من المكون الأساسي الذي يحتوي على مجموعة قواعد بناء (قواعد إعادة كتابة)، وعلى معجم يشتمل على المداخل المعجمية،والمكون الآخر تحويلي يتضمن قواعد يبدل كل منها مشيرا ركنيا بمشير ركني آخر،وتدرس العلاقات القائمة بين الجمل مثل: الحذف، التقديم والتأخير،وإن المكون التوليدي هو المكون التركيبي في قواعدنا أما المكونين الآخرين فهما تفسيريان.

7. مبادئ وأسس النحو التوليدي التحويلي:

أ . منطق الاستنباط "Déductive ":

" ويعتمد فيه على المنطق الرمزي " symbolique logic"واستخدمه في استنباط قواعد لسانية عامة"[13]، وهذا يعني أن العقل البشري هو مصدر التفكير، ومصدر القواعد اللسانية التي يجيدها كل مولود في لسانه، فدراسة الألسنية هي وسيلة لدراسة الفكر الإنساني.

ب . مبدأ الإلهام "Intuition ":

"يعتبر اللسان كغيره من المعلومات البشرية، ومضات إلهام في الأزل يصل إليها العقل الإنساني في هذه الحياة عن طريق الإلهام " [14]، وهذا القول ينفي المؤثرات الخارجية، كالبيئة والمحيط الاجتماعي في اكتساب الإنسان للغته ، ويعتبر ذلك بأنه تحصيل سابق في الأزل.

ج . مبدأ التوليد "Générative ":

يراد به "الجانب الإبداعي في اللغة ؛أي القدرة التي يمتلكها الإنسان لتكوين وفهم عدد لا متناهٍ من الجمل في لغته الأم بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل ،وكل هذا يصدر عن الإنسان بطريقة طبيعية دون شعور منه بتطبيق قواعد نحوية معينة "[15]، ولا يقصد بالتوليد الإنتاج المادي للجمل فقط ،وتتخذ هذه القواعد شكلا رياضيا تدعى قواعد إعادة الكتابة .

د . مبدأ التحويل: "Transformative "

يقوم هذا المبدأ على تحويل جملة إلى أخرى متى تقاربت معانيها حتى وإن اختلفت مبانيها.

8. . البنية العميقة والبنية السطحية :

"مفهوم البنية عند اللسانيين هو مفهوم بسيط جدا، ويمكن تفسيره بالقطع التي تتكون منها الجمل ، فإذا أراد لغوي أن يتعرف على بنية لغة معينة ،عليه أن يبحث عن هذه القطع وتصنيفها لا أكثر" [(16)] ،والمراد بالبنية العميقة الأساس الذهني المجرد لمعنى معين يوجد في الذهن ويرتبط بتركيب جملي أصولي ، يكون هذا التركيب رمزا لذلك المعنى وتجسيدا له وهي النواة التي لابد منها لفهم الجملة ،أما البنية السطحية وهي الشكل الظاهري الذي وردت عليه الجملة ،" والجدير بالذكر أن البنية السطحية والبنية العميقة ترتبط بما يسمى في النحو العربي بالتقدير ،حيث ميز النحاة العرب ومنذ "سيبويه"، بين التركيب الباطني الذي يمثل النمط المثالي والذي يعد موافقا لقواعد وشروط الصحة اللغوية والتركيب،وبين تفسير المعنى الدقيق وهذا المستوى المضمر"[(17)].

9. . المركب الاسمي والمركب الفعلي: [(18)]

أ. المركب الاسمي: Group Nominal

الاسم هو ما دلّ على معنى في ذاته مجردا من الزمن، ومنه المفرد والمركب ،ويحتوي على ركن المبتدأ (المسند إليه) وركن الخبر(المسند) وركن المفعول به (متمم المركب الفعلي).

ب . المركب الفعلي : Group Verbal [(19)]

يدخل ضمن المركب الفعلي كل ما يتعلق بالمسند "الفعل" من مفعول به أو حال، أو ظروف المكان والزمان، أو الجار والمجرور، أو غير ذلك.

10 . هدف النحو التوليدي التحويلي :

يهدف النحو التوليدي التحويلي إلى وصف معرفة المتكلم المثالي الباطنية للسانه ، وصفا واضحا وظاهرا ، إلا أن المناهج الدراسية لا تزال ميالة إلى القواعد التقليدية المعيارية، رغم أن بعض اللسانيين مثل الدكتور "عبد الرحمان الحاج صالح" يرون أن تطبيق اللسانيات الحديثة في التعليم يكون أكثر نجاعة وتبسيطا لدراسة اللغة وتعلمها، والابتعاد عن حشو أذهان المتعلمين بمفاهيم مجردة بعيدة عن التوظيف الإجرائي لها.

11- نشأة التوليدية العربية وأهم انشغالاتها:

"تجمع الأبحاث التي تناولت الإرهاصات الأولى للاتجاه التوليدي في ثقافتنا العربية ، مع قلتها . على أن هذا النموذج لم ينتقل إلى العربية إلا في بداية السبعينات من القرن العشرين[(20)]،لكنها لم تحدد أول مؤلَّف توليدي عربي بالرغم من أنّ جميع المؤلَّفات التوليدية العربية تحمل تواريخ ثابتة ،والعديد من الأبحاث التوليدية

العربية يصدق عليها قول الدكتور" ريمون الطحان": أكثر الدراسات التي طبقت على أنها دراسات حديثة هي في الواقع دراسات تقليدية تساق فيها المعلومات والنظريات والآراء دون غربلة أو تمحيص، حتى أن من يطالعها ليشعر بلعثمة أو هزة ناجمة عن حرارة في رأي واضعيها، بل على عكس ذلك يحس وكأنها فقدت عنصر التجديد ، فيقف الباحث محاولا أن يحدد منها المعلومات القيمة، فيعرض عنها لأنها مملوءة بالتعليلات المرهقة وبالألغاز والتمويه"[21].

12. من قضايا التوليدية العربية:

أ. في الجانب التركيبي:

. الرتبة:

لقد عمل أتباع المدرسة التوليدية التحويلية على إحياء نظرية القواعد الكلية، "وبالرغم من أنّ العديد من اللّسانيين عارضوا هذه الفكرة وأكّدوا على خصوصية كل لغة ، إلا أن "تشومسكي" وبعض أتباعه حاولوا إثبات أن كل اللغات يمكن أن يحكمها نحو واحد ينعت بالكلية والشمولية"[22]، وذلك أخذا باعتبار الجانب التركيبي الذي يعد أساسا مهما في العملية التوليدية التحويلية، فإذا تحقق المعنى من الجانب الفونولوجي والدلالي، ولم يتحقق المعنى من التركيب، لم تعد الجمل والتراكيب تؤدي دلالاتها اللغوية والتواصلية .

انطلق التوليديون العرب في دراساتهم لتراكيب اللغة العربية إلى فريقين: فريق يعتبر أن البنية الأصلية للجملة العربية يسير وفق الترتيب: فعل وفاعل ومفعول، وفريق يعتقد بأن الترتيب الأصلي لتراكيب العربية يسير وفق النظام : فاعل وفعل ومفعول.

وقد عالج الدكتور" الفاسي الفهري" هذه القضية تحت عنوان :" إشكال الرتبة والبنية الأساسية للجملة"[23] ،حيث أنّه شدد على أهداف النظرية اللسانية وذلك بالبحث في مجموعة المبادئ التي تقيد الرتب داخل اللغات، لأن كفايتها لا تقتصر على تخصيص ووصف الرتب الظاهرة فحسب، بل تتعدى ذلك إلى تلك الرتب التي لا يمكن أن تلاحظ.

- النحاة يذكرون أن مفسر الضمير يجب أن يتقدمه إما لفظا ،مثل قول الحق تعالى: ﴿ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ﴾[البقرة 124]، فالهاء في "رَبُّهُ" تعود على "إبراهيم"، أو رتبة مثل : "أَكْرَمَ أَبَاهُ زيدٌ "،فمرجع الضمير زيد متأخر عنه لفظا لكنه متقدم رتبة.
- التطابق بين الفعل والفاعل،فالفعل يطابق الفاعل جنسا وعددا إذا تقدم الفاعل عليه ، مثل:"الأولادُ جاءُوا "، أما إذا لم يتقدم عليه فلا يطابقه في العدد، مثل:"جاءَ الأولادُ ".

ب . في الجانب الدلالي:

- التبئير:

التبئير مسألة دلالية ترتبط ارتباطا وثيقا بمفهوم التقديم والتأخير، وهذا ظاهر في قول "خليل أحمد عمايرة ": " التبئير كما يسميه البعض، أو الموضعة كما يقول بعض آخر، عملية صورية يتم بمقتضاها نقل

مقولة كبرى، كالمركبات الاسمية أو الحرفية أو الوصفية... من مكان داخلي (أي داخل ج)، إلى مكان خارجي (أي خارج ج)[24]، فمسألة البؤرة درست في اللغة العربية من وجهة نظر وظيفية.

ج . في الجانب الصوتي:

"إن اهتمام المحدثين بالجانب الصوتي له علاقة وطيدة بالتراكم الذي شهده هذا الجانب في القرون الأولى من ظهور علم اللغة العربي، ذلك أن الدراسات الصوتية العربية المتقدمة شكّلت منطلقا لدراسات المحدثين، حيث شرع بعض المحدثين في رفع اللبس عن كثير من المفاهيم والآراء التي أتى بها المتقدمون من علماء اللغة ،وفق مشروع تبناه هؤلاء الباحثون يروم نشر الثقافة اللّسانية الغربية في أوساط المشتغلين بالدراسات اللغوية"[25]، مثل "إبراهيم أنيس" في"اللأصوات اللغوية"، و"أحمد عمر مختار" في"دراسة الصوت اللغوي".

لقد انطلقت أغلب الكتابات الصوتية العربية من انتقاد المنهج الوصفي، والتأكيد على" أن الأوائل لم يهتموا بتفسير الظواهر الصوتية في اللغة العربية بل قاموا بوصفها وصفا سطحيا ظاهريا"[26] ، فمعظم الأوائل عالجوا مسألة "الإدغام"، وتفطّنوا إلى أن الحرف الصحيح المشدد عبارة عن صوتين لغويين ،يقول "ابن عصفور" (ت597هـ): الإدغام هو رفعك اللّسان بالحرفين رفعة واحدة ووضعك إياه بهما موضعا واحدا ،وهو لا يكون إلا في المثلين أو المتقاربين، والسبب في ذلك أن النطق بالمثلين ثقيل، لأنك تحتاج فيهما إلى إعمال العضو الذي يخرج منه الحرف المضعف مرتين فيكثر العمل على العضو الواحد... وأيضا فإنّ الحرفين إذا كانا مثلين فإنّ اللّسان يرجع في النطق بالحرف الثاني إلى موضعه الأول، فلا يستريح اللّسان كما يستريح في الغيرين"[27]. 13 . مفهوم التحويل في النحو العربي:

يقوم التحويل في النحو العربي على أساس أن لكل تركيب إسنادي بنيتين: عميقة وسطحية، ولكن النحويين العرب "رأوا بأنه ليس هناك لكل تركيب إسنادي بنيتان إحداهما عميقة والأخرى سطحية ، وإنما التركيب الإسنادي الذي يقتضي بنيتين هو التركيب المحول الذي يكون ظاهره مُلبَسا، فالجملة التوليدية لا تحتاج إلى بنية عميقة وكذلك الصيغة الصرفية التي لم يقع فيها تحويل ،من نحو الإعلال و الإبدال تحتاج إلى بنية عميقة "[28] ،فمصطلح البنية العميقة ليس مصرح به في معالجة النحاة العرب للتراكيب الإسنادية، لكن المفهوم كان حاضرا، وقد استعمل في التفريق بين معاني التراكيب الإسنادية في الصيغ العربية التي يكون ظاهرها مبهما أما البنية العميقة فقد تتعدد ،مثال :" تفجَّرَ الصَّخرُ ماءً " ، ويرى بعضهم أن بنيتها العميقة " تتفَّجَّر ماءُ الصخْرِ" ويرى آخرون أن بنيتها العميقة " تفجر الصَّخْرُ من المَاء" ، ويعتبر هذا الاختلاف الذي مرت به الجملة غير مخل بمعناها وإنما هو زيادة في الإيضاح والتبيان ،وتتمثل القواعد التحويلية في: الحذف، الاستبدال، الإضافة، إعادة الترتيب، وهذه الأكثر استعمالا .

1- أنواع التحويل:

-أ- التحويل الجذري:

وهو الذي يتحول فيه التركيب الإسنادي الاسمي إلى تركيب إسنادي فعلي أو العكس.

- التحويل الذي ينقل المركب الاسمي:

أي ينقل المسند إليه من مكان داخل الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية إلى مركز الصدارة ،مثال: ﴿ وَاللهُ لاَيُحِبُ الفَسَادَ ﴾[البقرة 205] ، لا يحبُّ اللهُ الفسادَ .

-الجملة المحولة بالزيادة:

وهي ما يعرف بباب ظن وأخواتها ،فالجملة الاسمية التي تدخل عليها ظنَّ وأخواتها ،هي جملة محولة تحويلا جذريا بحث أنها تصبح جملا فعلية ،وتغيير أحد ركنيها يدي إلى تغيير في المعنى وشكل التركيب.

ج- التحويل المحلي:

" وهو ما يعرف بالتقديم والتأخير أو الرتبة غير المحفوظة "[29]،ويكون ذلك مع مراعاة التغييرات الدلالية الحاصلة في كل مرة ،مثل قوله تعالى: ﴿ وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴾[النجم 53]

جملة فعلية محولة تحويلا محليا بنيتها العميقة "أَهْوِى المؤتَفِكَة"، جرى عليها الترتيب بتقديم المفعول به "المؤتفكة" على نية التأخير للعناية والاهتمام أو الاختصاص، "وبعضهم قسم التحويل إلى عميق وسطحي ": [30] ،عميق ينطبق على التراكيب التي وقع في وظائف كلماتها من الإسناد إلى التخصيص ، مثل قول الله تعالى: ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَأْسُ شَيْبَا ﴾[مريم 04]، محول عن الفاعل فالبنية العميقة في هذه الآية "واشتعل شَيبُ الرَّأسِ"،وفي قوله تعالى:

﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً ﴾[الكهف 34] ، بنيتها العميقة "مالي أكثر من مالك".

أما السطحي : وهو أربعة أنواع :

أ - التحويل بالاستبدال:

هو إمكانية إقامة وحدة لغوية أو وحدة إسنادية مقام وحدة لغوية أو وحدة إسنادية أخرى بحيث يمكن التقديم والتأخير على أن يحل محل المقدم ضمير يعود عليه.

- الوحدة الإسنادية المحولة عن المصدر:

التأويل معناه إرجاع الشيء إلى أصله، غير أن فيه إشكالا واختلافا كبيرا بين النحاة واللغويين ما بين المصدر المؤول والمصدر الصريح، ففي قول الحق تعالى:﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُم ﴾[البقرة 184]، يلاحظ أن الوحدة الإسنادية "وأن تصوموا" تفترق في الدلالة عن المصدر المؤول به "صومكم"، وذلك لكون الأول يحمل معنى الوجوب أما الثاني فيحمل معنى الجواز.

- الوحدة الإسنادية المحولة عن المشتق:

"ذكر"الزمخشري" أنّ "الذي" وُضع وصلة إلى وصف المعارف بالجمل، أي بالوحدات الإسنادية، ففي قوله تعالى: ﴿ وَاتَقُوا الله الذِي تَسَّاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ [النساء01] ،فإن جملة "تسّاءلون" جاءت لوصف "الذي" لمهمة تعريف الوحدة الإسنادية "تتساءلون" لتصبح" تسّاءلون" وحدة إسنادية مضارعية ،وظيفتها وصف اللفظة المعرفة وهي لفظ الجلالة " الله ".

ب- التحويل بالزيادة:

الزيادة كلمات قد تكون فُضلات أو قيودا ، " وكل زيادة في المعنى تتبعها زيادة في المبنى ، قال "السيوطي": وأما تقييد الفعل بقيد من مفعول مطلق ، أو به أو له أو فيه أو معه أو تمييز أو استثناء، وذلك لزيادة الفائدة "[31]،مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيم ﴾[التوبة 05] ، حيث يعد الناسخ الحرفي (إنّ) عنصر تحويل جعل الجملة الاسمية التوليدية "الله غفور" حاملة معنى التوكيد.

ج - التحويل بالحذف:

الإيجاز سمة بارزة في اللغة العربية يحققها أسلوب الحذف ،حيث "يقول عنه "الجرجاني" : إنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والبليغ من يختار الإيجاز ما أمكن التعبير عن فكرته بألفاظ قليلة ويفضله عن الإطناب إذا لم تكن فيه زيادة معنى أو توسيع "[32]، فمن عادة العرب الإيجاز والحذف طلبا لتقصير الكلام والاستغناء بقليله عن كثيره ،مثل قول الحق تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[لقمان 25] ، فجملة (يقولنّ اللهُ) بنيتها العميقة، (خلقهنّ اللهُ) لا (الله خلقهُنّ) قياسا على قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِي اللَهُ العَلِيمُ الخَبِير﴾[التحريم 03].

د- التحويل بالترتيب:

"والتقديم والتأخير مرهونان بالأغراض والأحوال التي تخص المخاطب والسياق الكلامي الذي يرد فيه التركيب الإسنادي في صورته "[33]، فالإسناد المحول الواقع فيه التركيب المقدم أو المؤخر، منطلق أساسا من فهم الأحوال المتحولة للخطاب والترتيب الذي يعد عنصرا تحويليا.

14- دواعي التحويل:

أ- غرض القصر: ففي قول الحق تعالى:" ﴿ بَل اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَاكِرِينَ ﴾"[الزمر66] . يُلاحظ أن الجملة (بلِ اللهَ فاعبُد) قد قدم المفعول به وهو لفظ الجلالة "الله" على الفعل والفاعل "فاعبد"، وصولا إلى قصر المفعول على الفعل الفاعل؛ أي قصِّر عبادتك على الله وحده.

ب - الاختصاص: في قوله تعالى :﴿ إِيَاكَ نَعْبُدُ ﴾[الفاتحة 05] ، فجملة (إياك نعبد) جملة محولة بنيتها العميقة (نعبدك) لإفادة الاختصاص والقصر.

ج- إحداث النغم: للتأثير على السامع، في قوله تعالى:﴿ فَأَمَا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَر ﴾[الضحى 09] ،﴿ وَأَمَا السَائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ ﴾[الضحى 10] ، هذا التحويل جعل النص محملا بطاقة تأثيرية عالية جدا في الجانب المعنوي والتنغيمي.

15- نقد الاتجاه التوليدي العربي: الاتجاه التوليدي كباقي الاتجاهات يسجل عليه العديد ومن أهمها:

أ - عدم تحديد مستوى اللغة المدروسة:

إن المتتبع للكتابات التي حاولت تطبيق بعض النماذج التوليدية على اللغة العربية، يلاحظ أن التوليديين العرب وقعوا في المشكل نفسه، وهو عدم تحديد مستوى اللغة المدروسة، فالذي يقرأ للدكتور"عمايرة" مثلا ،يجده يمزج في شواهده بين العربية القديمة من شعر ونثر وأمثال، بالإضافة إلى لغة القرآن ،وبين عربية حديثة متداولة ،والأمر نفسه يتكرر مع العديد من الباحثين التوليديين، فيما عدا الدكتور "مازن الوعر" الذي حدد شكل اللغة العربية التي يعالجها في دراسته، ووصفها بالعربية الوسطى التي ليست رفيعة ولا متدنيّة" وهو الشكل الذي يستعمل -على حد قوله- في المدارس والجامعات والمحاضرات والصحف وغيرها "[34].

ب- التطبيق الجزئي للنماذج التوليدية:

أغلب الكتابات التوليدية العربية هي عبارة عن تطبيقات جزئية لبعض النظريات التوليدية، حيث ركزت هذه الكتابات على نظرية بعينها، باستثناء الدكتور "عبد القادر الفاسي الفهري"، الذي وصفت مؤلَّفاته من قبل بعض الباحثين بالشمولية.

ج - غياب التنسيق بين الباحثين:

"إنّ أبسط شروط التنسيق بين التوليديين العرب شبه منعدمة بخصوص نقطة واحدة، فما بالنا بالقضايا التي تطرح على مستويات مختلفة " [35].

د - اختلال التوازن بين المستويين التنظيري والتطبيقي:

إن الكتابات العربية لم تهتم كثيرا بالجانب التطبيقي، ولم تسهم بشكل كبير في حل المشاكل التي يعاني منها المجتمع العربي، "غير أنّ هذا الوضع لا ينفي وجود بعض المحاولات التي استطاعت تقديم بعض الحلول، لبعض المشاكل اللغوية ، لكنها تبقى محاولات ضئيلة ومحصورة في أسماء قليلة"[36].

خاتمة:

إن المنهج التوليدي التحويلي لم يكن إلا نتيجة للاطلاع الواسع على المناهج اللغوية السابقة،وقد سعى"تشومسكي" إلى إقامة نظرية عامة للغة تصدر عن اتجاه عقلي ،أما عن الجوانب التحويلية في العربية فقد تطرق إليها علماء العربة القدامى مثل قضية الأصلية والفرعية التي تمثل البنية العميقة والبنية السطحية في اللسانيات الحديثة وقواعد الحذف والزيادة وإعادة الترتيب وهذا ما أكده "عبده الراجحي" في كتابه النحو العربي والدرس الحديث ، لذلك نجده مقلدا لبعض النحاة القدامى أمثال "ابن جني" و"عبد القاهر الجرجاني" خاصة في ظاهرة القدرة اللغوية على أنها ملكة عقلية متمثلة في العلاقات المعنوية بين الأصناف النحوية ، فهو يرى كما يرى "سيبويه" بأنه ليس كل كلام منطوق مقبول، فهناك منطق لغوي هو الذي يتحكم فيه،وقد أقام نظريته على الازدواجيات كما فعل سابقوه في اللغة والكلام ، البنية العميقة والبنية السطحية ،الكفاءة والأداء،الجانب العقلي والجانب الآلي، واهتم بالبنية العميقة على حساب البنية السطحية لأن مبدأ النظرية التشومسكية يقوم على الجانب العقلي للغة.

الهوامش:

(1)- عبد القادر الفاسي الفهري،اللسانيات واللغة العربية ،دار توبقال ،المغرب، ط2000،4، ص57.

(2)- عبد القادر الفاسي الفهري، المرجع نفسه، ص 65.

(3)- عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، نقلا عن مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، المملكة العربية السعودية، العدد29، شباط، 2013، ص 326.

(4)- حسام بهنساوي،أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، المملكة العربية السعودية، العدد29، شباط،2013 ص 326 .

(5). محمود جاد الرب،علم اللغة نشأته وتطوره،دار المعارف،القاهرة،دط، 1985، ص195،194

(6) N. Chomsky :Acsepts de la théorie syntaxique- traduit de Langlais par Jean Claude Milner. Edition du seuil 1971.p 19

(7). جون ليونز،نظرية تشومسكي اللغوية، ت:حلمي خليل، دار المعرفة ،الاسكندرية ،ط1، 1985 ، ص129 .

(8)- مختار درقاوي، نظرية "تشومسكي" التوليدية التحويلية الأسس والمفاهيم ،مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية ،العدد 12، جوان 2014، ص09.

(9)-ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية " الجملة البسطة "، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط2، 1986/1406، ص13.

(10). ميشال زكريا ، المرجع نفسه ، ص 139

(11)-*سميت بقواعد الإسقاط لأنها تسقط المعنى على بنية معينة.

(12). ميشال زكريا ،المرجع نفسه ،ص145

(13)- عن عبد القادر بن عسلة، تعليمية القواعد في ضوء المنهج التحويلي التوليدي، منشورات مختبر اللغة العربية والاتصال وهران، الجزائر، د ط ،2006، ص 21، عن محمد محمود فادي، أئمة النحاة في التاريخ، دار الشروق جدّة، ط1 1976،ص10.

(14)- أحمد مومن،اللسانيات النشأة والتطور،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،د ط،2002، ص 204.

(15). أحمد مومن، المرجع نفسه، ص206.

(16). عبد الرزاق دورا ري، مدخل إلى النحو التفريعي، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2007، ص37.

(17)- عبد القادر بن عسلة، المرجع السابق، ص 35 .

(18)- ينظر، عبد القادر بن عسلة، المرجع نفسه، ص 44.

(19). ينظر، عبد القادر بن عسلة، المرجع نفسه، ص 57 .

(20) ـــــ حافظ إسماعيل علوي ،اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة ،دار الكتاب الجديدة المتحدة ، بيروت ،ط2008،1، ص261.

(21). عبد الفتاح الزين،قضايا لغوية في ضوء الألسنية،الشركة العامة للكتاب، تونس، ط1 ،1987،ص 83.

(22)- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق القاهرة، ط1، 2001، ص 65.

(23)- عبد القادر الفاسي الفهري، المرجع نفسه، ص 103.

(24). عبد القادر الفاسي الفهري ، المرجع نفسه ،ص114

(25)- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1979، ص05.

(26)- داود عبده عطية، الدراسات الصوتية العربية بين الوصف والتفسير، ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، جامعة فيلاديفيا، 2010/12/19، ص 62.

(27)- ابن عصفور الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، تح: فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ط1، 1996، ص 403.

(28)- رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي "مفهومه أنواعه وأصوله"، جدارا للكتاب العالمي، عمان الأردن، ط1، 1429/ 2008، ص 46.

(29)- عن رابح بومعزة،المرجع نفسه، ص53، تمام حسان،اللغة العربية معناها ومبناها، ص202 .

(30)- رابح بومعزة، المرجع نفسه، ص 51.

(31)- عن رابح بومعزة، المرجع نفسه ، ص 66 ، عن جلال الدين السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان.

(32)- رابح بومعزة، المرجع نفسه، ص 67 .

(33)- رابح بومعزة، المرجع نفسه، ص 68.

(34)- ينظر: مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس، دمشق، سوريا، ط1، 1987، ص 18.

(35)- حافظ إسماعيل علوي، المرجع نفسه، ص 320.

(36)- حافظ إسماعيل علوي، المرجع نفسه، ص 322.

- المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع .
2. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1979. .
3. ابن عصفور الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، تح: فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ط1، 1996.
4. أحمد المتوكل، مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت لبنان، ط1، 2009.
5. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق سوريا ، ط 1، 2001.
6. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2002 .
7. جون ليونز،نظرية تشومسكي اللغوية ،ت:حلمي خليل، دار المعرفة ،الاسكندرية ،ط1985،1 .
8. حافظ إسماعيل علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط 1، 2008.
9. رابح بومعزة، التحويل في النحو العربي "مفهومه أنواعه وأصوله"، جدارا للكتاب العالمي، عمان الأردن، ط1، 1429/ 2008.
10. عبد الرزاق دوراري، مدخل إلى النحو التفريعي، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2007.
11. عبد الفتاح الزين، قضايا لغوية في ضوء الألسنية، الشركة العامة للكتاب، تونس،ط 1987،1.
12. عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية ،ط1، 1986، منشورات عويدا، بيروت
13. عبد القادر الفاسي الفهري ،اللسانيات واللغة العربية ،دار توبقال ،المغرب ،ط2000،4.
14. عبد القادر بن عسلة، تعليمية القواعد في ضوء المنهج التحويلي التوليدي، منشورات مختبر اللغة العربية والاتصال وهران، الجزائر، د ط، 2006.

15. مازن الوعر، نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية دار طلاس، دمشق، سوريا، ط1، 1987.
16. محمد التونجي، الجامع في علوم البلاغة، دار النهج، سوريا، ط ،2010/1431.
17. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دارالشروق القاهرة، ط1، 2001.
18. محمود جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، القاهرة، د ط، 1985 .
19. محي الدين محسب، انفتاح النسق اللساني ،دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 ،2008.
20. ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية "الجملة البسطة"، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط2، 1986/1406.
21. N. Chomsky :Acsepts de la théorie syntaxique- traduit de Langlais par Jean Claude Milner. Edition du 9seuil 1971.p 1
22. حسام بهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، المملكة العربية السعودية، العدد29، شباط،2013.
23. داود عبده عطية، الدراسات الصوتية العربية بين الوصف والتفسير، ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، جامعة فيلاديفيا، 2010/12/19.
24. عبد القادر الفاسي الفهري، ملاحظات حول البحث في التراكيب، ندوة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، الرباط، أبريل، 1987.
25. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، نقلا عن مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، المملكة العربية السعودية، العدد29، شباط، 2013.